

توظيف الوسائط المتعددة في المواقف المختلفة تجاه تلقيح كورونا (كوفيد 19) في ضوء الدرس اللساني

Employing Multimedia in the Diversity of Opinion Towards Corona Virus Vaccination (Covid 19)

أ.د. ذكرى يحيى القبيلي

أستاذ اللسانيات بقسم اللغة العربية جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

د. مرتضى يوسف

محاضر اللغويات العربية بقسم دراسات الاختصاصات المتداخلة، جامعة بيز أبوجا، نيجيريا.

الملخص

تنظر هذه الورقة في اهتمام الدرس اللساني بفكرة الوسائط المتعددة وتوظيفها في المواقف الحياتية المختلفة، مثله مثل غيره من المجالات كالإعلام ودراسات الأفلام، والصحافة، والدراسات المرئية وعلم النفس والأنثروبولوجيا الاجتماعية، التي تعتمد دراساتها منذ أمد طويل على الصور والتصميم والصوت والإيماءات، وفيما لفت النظر للخطاب التواصلية أنه يشمل أنواعا مختلفة من الموارد السيميائية واللغوية في جميع أجناسه المختلفة، وأنه نوع فيه الكثير من المتعة والفائدة كونه جزء لا يتجزأ من حياة الإنسان اليومية. وتهدف الورقة إلى الكشف عن قيمة توظيف الوسائط المتعددة واتساقها في صناعة المحتوى وبناء المعنى في خطابات الاختلاف في ردات الفعل الحاصلة حول تلقيح كوفيد 19. وقد اعتمدت الورقة المنهج التحليلي الاستقرائي الذي يمكن تحديد نماذج مختارة من التغريدات وتحليل وسائطها المعبرة عن مواقف المختلفين. وتخلص الورقة إلى أن أمر اللقاح ضد الجائحة لم يكون سلسا في الواقع. وقد أثار اختلافا عند الشعوب إلى درجة يعتمد أفرادها الوسائط للتعبير عن مواقف القبول والرفض والإقناع وغيرها.

الكلمات المفتاحية: الوسائط المتعددة، الخطاب، اللسانيات، السيميائية، تلقيح كورونا، كوفيد 19.

Abstract

This paper looks at the linguistics' interest in the idea of multimedia and its employment in the diversity of life situations. Just as in other fields like media, film studies, Journalism, visual studies, psychology and social anthropology, whose studies have long based on images, design, sound and gestures, communicative discourse in its different genre, includes different types of semiotic and linguistic resources that attract a lot of fun and interest to it, being an integral part of human life. This paper therefore, aims to reveal value of employing multimedia and its consistency in creating content and composing meaning in discourses of different reactions to the Covid 19 vaccination. Based on that, this paper adopts inductive analytical method to identify and analyze multimodality in selected tweets. However, this paper concluded that discussion on the virus vaccination was not smooth, as media expression and opinion diver toward acceptance, rejection and persuasion etc.

Keywords: Multimedia, Discourse, Linguistics, Semiotics, Corona virus vaccination, Covid 19.

مقدمة:

يشهد العالم منذ العام 2020م تغيرات كبيرة صاحبت جائحة كورونا كوفيد 19 (covid-19)، وما تلاه من تسابق وتنافس في الوصول إلى تطعيم مضاد له يحمي الجسم ويكسبه المناعة ضد هذا الفيروس العجيب. وعندما تحقق التطعيم بدأت الدول في تشجيع شعوبها على التحصين وأخذ الجرعة المطلوبة أو بالأصح الجرعتين. لكن الذي حدث أن الأمر لم يكن سلسا أو سهلا، بل صاحب موضوع التطعيم خلاف كبير وسبقه جدل واسع وشائعات كثيرة، وتساعد الجدل وكأن العالم انقسم إلى موافق ورافض، بمعنى فريق مؤيد لتلقي التلقيح ويؤكدون أنه آمن وفيه الوقاية وأنه مهم لرفع مناعة الجسم، ولا بد منه للخروج من الظرف العالمي الصعب. وفريق رافض يحذر من التلقيح وآثاره، يرى أنه التطعيم شر محض. وكل فريق باسل في الدفاع عن وجهة نظره ووظف كل ما يخدم توجهه من وسائل وهاشتاكات مساندة.

وفي هذه الورقة ندرس نماذج من خطابات كل فئة، والمنشورة في تويتر في العام 2021م؛ وهو العام الذي شهد فترة الجدل الأوسع. وقد تخيرنا عددا من التغريدات والوسائط المتعددة، محللين كيف وظف كل فريق هذه الوسائط في التعبير عن موقفه من ناحية، وفي الإقناع والتأثير في الآخر من ناحية أخرى.

وقد تعددت الوسائط المستعملة في هذه الجائحة وتنوعت كثيرا، فحاولنا أن ننوع في اختياراتنا منها لتشمل: النص المكتوب والمنطوق والصورة والفيديو، والتي تمثل المواقف المتباينة. فاخترنا: تغريدات تعتمد الكلام اللغوي دون غيره، وصورة تعبر عن رفض التطعيم ومقاطع فيديو عدد (2) الأول ينفي الشائعات التي تخوف الناس من اللقاح، والثاني لمظاهرة تندد بالإجبار على تلقيه.

وأما الدراسات العربية التي سبقت الورقة في فكرتها فقليلة. لكن سنذكر ما تتسم دراستها بفكرة ورقتنا أو على الأقل ما تصف العلامات اللغوية وقيمتها التواصلية، على النحو الآتي:

البحث الأول بعنوان: أنظمة دلالية غير لفظية ودورها في تشكيل نظام لغوي للتواصل في القرآن الكريم، لنبال نبيل نزال، عام 2014م، هو مقالة في المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، م10، ع1، ص325-347. هدفت استنتاج أنظمة تواصلية تساند اللغة المنطوقة في عمليات التواصل. علما بأن لكل من عنصر جسدي وحركة جسمية وإشارة يدوية طريقة دلالية يعبر بها الإنسان عن أفكاره. وتختلف عن ورقتنا في كونها درست العناصر من حيث ما تحمل في طياتها من دلالات مقصودة، وركزت على تقسيمها إلى تسميات لا تفيد غير تكرار مسمياتها، تنقصها دراسة لغوية علمية خالصة.

والبحث الثاني بعنوان: العلامة في التراث اللساني العربي قراءة لسانية وسيميائية، لأحمد حساني، 2015م. أرادت وصف أنظمة العلامات وإيجاد آليات التفسير لطبيعتها وذاتها، فوقفت عليها باعتبارها وسائط اجتماعية وثقافية يستوجب تدارسها وضبط مجالها من وجهة نظر اللسانيات والسيميائيات معا. فتناولت أسسها ومفاهيمها وخصائصها واطرادها وإجراءاتها التأويلية، وانتهت إلى استثمار المكونات الفكرية والدينية والجزئية التي تتعلق بموضوعها وتبرز قيمتها المعرفية في التراث اللساني العربي. وتختلف عن ورقتنا في أنها وقفت على طبيعة العلامة لدى الدارسين الأقدمين وانشغالهم بها، بعيدا عن أن تستفيد من حصيلة الحداثة التي تسترشد التراث وتتجاوزوه.

والبحث الثالث بعنوان: أثر استخدام الرموز التعبيرية في شبكات التواصل الاجتماعي على اللغة (الفيسبوك أمودجا) دراسة على عينة من شباب مدينة المسيلة، أطروحة خديجة زيتزي وفاطمة الزهراء حدباوي، 2016م/2017م. هو رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في قسم علوم الإعلام والاتصال، جامعة محمد بوضياف-المسيلة. الجزائر. وقد تعرّفت على الرموز التعبيرية الأكثر استخداما في الفيسبوك وأثرها النسبي على اللغة. فتختلف عن ورقتنا في أنها اهتمت ببساطة الرموز وحدها في الفيسبوك. وهي نوع واحد من أنواع الوسائط الكثيرة التي تعتمد في الخطاب التواصلية.

وقد قسمنا الورقة إلى ثلاثة محاور الأول يتناول الجانب النظري ينظر في قيمة الوسائط المتعددة وتوصيفه، والمحور الثاني يصف ردات الفعل والمواقف التي تشكلت تجاه التلقيح، والمحور الثالث يحلل نماذج من الوسائط الرائجة.

منهجية البحث:

وقبل كل شيء نشير إلى أن الورقة اعتمدت على المنهج التحليلي الاستقرائي في تحديد نماذج التغريدات المختارة وتوضيح مواقف مختلفة في الردات الحاصلة حول تلقيح كوفيد 19، ثم تحليل الوسائط المعبرة عن تلك المواقف لغرض التوصل إلى نتائج موثوقة على مستوى التوظيف والتفسير. ذلك أن المنهج التحليلي الاستقرائي واحد من أهم المناهج

التي تتصف بالخصوصية في مجال البحث العلمي، ونعد خصوصيته أكثر مرونة ومناسبة في تحليل البيانات المختلفة لظاهرة ورقتنا.

المحور الأول: مفهوم الوسائط المتعددة واهتمام الدرس اللساني.

1-1 ظاهرة الوسائط والدرس اللساني:

صاحبت ظاهرة الوسائط اهتمام العديد من التخصصات بالعناصر التي يعبر بها الإنسان لتوصيل المعنى. ويظهر من ذلك الاهتمام بممارسة المجتمعات أنواعا متعددة من الكلام والكتابة والإيماءات والصور والكتابات الرقمية، وما في ذلك من ربط الصلة بينها، وما تثيرها قضايا التفاعل بوجود الخطاب وتنوعه، أو تحليله وتداوله، وغيرها من المتطلبات التي تحفز العناصر اللغوية وغير اللغوية وضعا ومفهوما واستعمالا.

ونقرر هنا أن اللسانيات التي تهتم أكثر بالنصوص المنطوقة والمكتوبة، تلقت الوسائط، فاتسعت مجالات دراستها ثم اتسعت سعة اللغة بما¹ لتشمل كل ما يعبر بها الانسان عن أغراضه من كلام لغوي مكتوب ومنطوق ومسجل ومرسوم ومقطوع ومرموز، وكل ما يحمل معنى في عرف ثقافي اجتماعي. ذلك أن الفن المعروض والتصميم المرئي والصوتي واللغة والوسائط الرقمية والتغريدات والأيقونات الاجتماعية تعدّ امتدادا للغة أو ما تتحول إليها اللغة في إنتاج الفكر وتداوله.²

وعلاوة على ذلك، تعدّ مساهمات كريس (Kress) وفان ليوين (Van Leeuwen) وغيرها في المتلفطات المرئية والمواد الرقمية والرسومات الإشهارية والرياضية والحركات الجسدية من الدوافع التي أوجدت بها اللسانيات والسيمايا الاجتماعية طريقتيها إلى الخطاب المتعددة الوسائط.³ وتترتب على ذلك آثار الوسائط في التعبير عن مواقف القبول والرفض والتأييد والتحذير والإجبار والإنكار والإبلاغ والاقناع والتأثير والإكراه والاستحالة والوجوب والانتهاك والسكوت والحب والكراهية وغيرها مما يمكن التلفظ به وما لا يمكن التلفظ به في لحظة يقرر فيه الإنسان بين أن يعتمد ما يتواجه به في حياته أو أن يتظاهر.

1-2 قولنا إن هناك أكثر من اللغة...

يجيل هذا القول إلى أن اللغويات عرفت تعددية في الوسائط من خلال الكتابين الرائدتين لكريس (Kress) وفان ليوين (Van Leeuwen)، قراءة الصور (1996)، وخطاب الوسائط المتعددة (2001). ومن بين الأفكار التي أوردتها الكتابان أن صناعة معني النص لا تقتصر على اللغة بل على العناصر المرئية مثل الصور واللون وتخطيط الصفحة والعناصر المادية والهندسة المعمارية. وتفتح النظرة أمام اللغويين والدارسين المتخصصين في الإعلام والأفلام والصحافة والمرئيات والاجتماعيات الأنثروبولوجيا والنفسية عالما جديدا يتجه إليه الدرس التحليلي والتواصلية

المعاصر. والحق أن الوسائط اللغوية تتعدد كما تتداخل الاختصاصات التي تدرس الحركات والإشارات والتصميمات والصوتيات والرسومات والتسجيلات في ظلّ التصرّو الذي يتكوّن منه المعنى ويتصنع المحتوى.⁴ ذلك هو الواقع فلا بدّ من الانضمام إليه، على الرغم من الخطر الذي يرفعه البعض خوفا من فعل الاستكشاف، غير التفضيل الذي لا يرى وراء القديم سبيلا.⁵ فالعثور على التطور المستمر في المجالات العلمية يستدعي إفراط الإنتاج بما فيه إفراط الإعجاب بما وصل إليه مختلف المجالات المعرفية الإنسانية والطبيعية، وفتح المجال للمعطيات التي أوجدتها أنساق البحث الحديث من مظانّ عسيرة، تستوجب صحة معطياتها تقويم المفاهيم التي لم يصرّح بها مجالا معيناً قبلاً، فيثبت بها الثوابت الماثورة في الخارج، ثم يتجاوزها أو يتعامل معها، حيث إنّها سيوفر عمقا كثيرا لمجموعة أدواته التي تنطبق وما لم تنطبق على التطورات العلمية. كذلك شأن البحث اللغوي المعاصر الذي لم يستهن قيمة معطيات شتى الحقل المعرفية، بل وقف عليها واستفاد من مسارها الخطي التطوري، لينتقل مما هو موجود إلى ما هو غائب في بناء تراكمه المعرفي.

3-1 قيمة الوسائط الأخرى وتوصيفها:

إن من المساهمة المهمة التي تتصف بها أعمال كريس (Kress) وفان ليوين (Van Leeuwen)، وتشهد عليها اختصاصات أخرى غير اللسانيات، التركيز على الطريقة التي سهّلت بها التكنولوجيات التواصل الحديث، بحيث لا يتم التواصل الفعّال بواسطة لغوية واحدة بل بأكثر الوسائط.

ففي الاتصال المتعددة الوسائط تصبح المواضع اللغوية وغير اللغوية أو الوسائط المختلفة أكثر تواجدا وتكاملا. حيث يتم استخدام العناصر المرئية لتوصيل الأفكار والمواقف المعقدة. فعلى سبيل المثال، يتم في السابق التواصل بفاتورة خدمات نصا من كلمات الآلة الكاتبة وأرقامها فقط، وتستخدم في الحاضر مجموعة من الإشارات المرئية الأخرى، فيشمل التواصل إمكانية الخطوط المستديرة والودية، والألوان المخففة للإشارة على الحالة المزاجية المرحة، والكثير من مساحات بيضاء شاغرة يخلق بها إحساس بالبساطة ومساحة للتنفس. فيبدو في الأخير أن ليس استعراض هذه العناصر والميزات لغرض الإساءة لكن للعلم أن المرء مع كونه مدينا لشركة الخدمات بفلوس، فليس دئنه بإشكالية عويصة.

وليس معنى ما سبق أن تعدد الوسائط أحدثته التواصل في العصر الراهن، فثقافة الأمم بالتصميم الفني والترويج ليست حديثة العهد. بل طالما يحذّر الآباء أولادهم بالإشارات والحركات الجسدية، وطالما يعتني علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية بربط التواصل بأفكار المجتمع وقيمه في صورة القصص والرقص والملابس والموسيقى والعمارة والفخار والطقوس وغيرها، مفاد ذلك أن توصيل الأفكار بما يمارسه أفراد المجتمع من نتاج ممارسة عرفية يعين في تفاعل متجدد باستمرار.

ولا يزال عمل كريس وفان ليوين يثير إمكانية منهج سيميائي اجتماعي لتحليل أنواع تواصلية مختلفة من خلال قواعد اللسانيات والسيميائيات بناء على أن الإنسان يقدر أن ينتج أكثر من واسطة تواصلية واحدة في موقف تواصل واحد.

ونضيف إلى ذلك أن اللسانيات تستورد أدوات منهجية تتفاعل مع العناصر غير اللفظية بوصفها أنظمة وظيفية تواصلية. ذلك أن العناصر باختلافاتها غير مستقلة إلى جانب اللغة في إنتاج معني الخطاب.⁶ فإمكانات المعنى المتاحة للعناصر اللغوية وغيرها تمنح حرية الخيارات العاملة للتعبير عن المعنى المقصود بنظام علائقي متمثلة في سياق ثقافي معين وهدف تواصل معين (Context-Text Relations).⁷ وتتسق هذه القاعدة بما تتمثل به ذخيرة خيارات الأفراد من إمكانات المعنى (repertoire of choices of meaning potentials) عند بناء جملة الصور والموارد السيميائية، بناء على القواعد التي وضعها كريس وفان ليوين لتواصل يمكن أن تصنف دلالاتها في معان تماشية وتفاعلية وتركيبية (Representational, Interpersonal and Compositional Meanings)، يحددها هيكل عمليات (Transactional Structure/ Narrative Process) النماذج ومعانيها.⁸

4-1 توظيف الموارد اللغوية والسيميائية واختلافاتها:

تختلف الموارد السيميائية عند كريس (Kress) في النوع والإمكانية بناء على الأهداف التواصلية التي تخدمها الموارد.⁹ ويتأثر تحقيق التواصل باستراتيجيات تخاطبية تضمها نماذج مادية ولا غيرها.¹⁰ فاستخدام الكلام الملفوظ لاستئذان من يصدّ طريقتك أفضل من النص المكتوب. ورفع صورة المرأة العارية أمام المسجد في الشارع يتطلب بعداً أيديولوجياً يفهم من خلاله الناظر الفئة التي تنتمي إليها العارية والمسجد المرفوع، ويستبعد به فوضى تقدر أن تثيرها الصورة.

وتجدر الإشارة إلى أن توظيف الموارد السيميائية يتم بتداخل مع اللغة المادية. فلا صورة ولا حركة توصل معنى إلا أن تحمل علاقة لسانية تستحضر السقف الثقافي الذي جعل من تصوير وتحريك وترميز لعلامة دالة على معنى بعينه. ذلك أن المستهدف يفهم الصورة من خلال معانيها المرتبطة بالعلاقات المباشرة التي تربطها بلسان يستعمله الإنسان لتوصيل معنى.

فاللسان يعدّ أرقى الأنساق التي يستعملها الإنسان في التواصل ومؤولها. والموارد مع أنها قد تحولت إلى اللغة فلا تزال بحاجة إلى أن تتعلق بما تعالقا مباشرا. إذ لا يكون من السهل تحديد المعاني التي تنقلها العناصر بدقة إلا بما تحددتها علائقيا.¹¹ وبعبارة أخرى، ينبغي أن تحمل العناصر غير اللغوية معها علاقة لغوية تساعد تحديد أحداثها

لأنها بذاتها لا تحمل أفعالا تشرحها. ولذا ينبغي أن تحمل صورة المرأة العارية علاقة مباشرة توضح الفئة التي تنتمي إليها بعيدا عن المسجد المرفوع وراءها.

ومنه مثلا تأثير المواد الشكلية والمرئية في تحقيق التواصل في الحرب، حيث يمكن استخدام مواد النصب التذكارية لتوصيل الأفكار والانتماء أو تجنيس الحرب وشرعيتها في المجتمع. وقد يتحقق التشجيع بها واستخدام المواد التي تدل على شيء من الأرض خالدة، أو من حجر ثقيل منحوت من الجبال أو الفضة ومصبوب يدويًا بتقنيات تزوير قديمة. فغير المواد المذكورة لا تواصل نفس المقصود، لأن موادا أخرى لا تنقل نفس المعنى. كأن ترفع البلاستيك (Aluminum) محل الحجر فإنها غير مناسبة علما بأنها توحى بشيء حديث ومشرق وخفيف؛ مع أن البلاستيك يمكن أن يكون دائما فإنه سيقترح رخصا.

والثابت هنا أن في الأحياء التي يتم بناء عمارة الجيش تمثيلا لذكرى الجنود ووفاتهم، أو لغرس أهوال الحرب ومخاوفها في المدنيين، غدت العمارة فيها ممارسة تحاول النخبة الوطنية من خلالها غرس الأمن والسلامة بعد حرب خسرت بها الأمة المعينة.

والثابت الآخر أن في الأحياء التي ترى الآثار في صورة عمارة كلاسيكية، كانت تجلب معاني المثل الأعلى والحضارات الجميلة. ذلك أنه لا يتم توصيل تلك المعاني من خلال اللغة لكن من ممارسة اجتماعية أخرى، لأن فعل ذلك باللغة غير مناسب. فالحق أن لكل مورد سيميائي دلالاته وإمكانيته، كما للغة التزاماتها في خلق المعنى. ومما تجدر الإشارة إليه أيضا في هذه النقطة، ما تبه به ليدما (Ledema) بقوله (RESEMIOLOGICISATION)، يمكن أن يفسر بـ سيميائية الخطاب. وهو يقصد به الطريقة التي تقع بها الوسائط المتعددة في الخطاب، أو الإجراء الذي جعل التخاطب يتأتى الوسائط الأخرى لتوصيل ما لا يقدر عليها اللغة. كأن تضم بعض النماذج المادية أيديولوجيات بطرق تخاطبية لا يمكن للنصوص. معنى ذلك أنه إذا كانت الموارد تختلف باختلاف النوع والإمكانية في توصيل المعنى، فإن إضفاءها إلى الخطاب لا يتم عبسا، بل لأنها تعدّ طريقة لغوية ومرئية وترميزية وتصويرية وتشفيرية تعتمد على مجموعة اجتماعية معينة في التواصل. وإذا توطن الخطاب بأجناسه المختلفة الوسائط وحقق ممارسا وتفاعلا يعرفه شعبا معينًا، فقد أدت الوسائط الوظيفية التي من أجلها بعثت، وهي توصيل الأفكار من خلال نماذج التي يدرك بها الأفراد تجربة ثقافية معرفية اجتماعية.¹²

وفي الخلاصة، ليس من المنطقي أن نقول تحديدا أن هناك عملية يمكن التعرف بها في سيميائية الخطاب، غير أنه ينبغي أن تتناسب النماذج السيميائية التي يتألف منها الخطاب بطبيعة أفكار المجتمع وقيمه وهويته. مثل الخطوط المستديرة والألوان المخففة في توصيل فاتورة الخدمات واستخدام مواد النصب التذكارية لتوصيل الانتماء أو تجنيس الحرب تهيئ ثقافة يعرفها أصحاب المجتمع، وفي حين نفسه تتحقق بها معرفة ما يفهمه المستهدف مما تتحكم في سلوكيات الرمز والصورة والشفرة المبهمة التي تتخذ أحيانا شكل اللوحة الملونة أو الورقة المخططة أو المواد الأثرية.

وليس تختلف الفكرة عن إشارة الأنثروبولوجيا الاجتماعية التي تدعو إلى مخاطبة القوم بلغة ثقافتهم. ذلك أن ثقافة الشعب تبرزها هويته وقيمه التي تتألف منها حكاياته وقصصه واعتقاداته وموسيقاه وطبقاته الاجتماعية وغيرها مما ترشدنا إلى عقلية المجتمع وعلاقاته بالعالم الخارجي.

ومنه مثلا أنواع الخطاب المختلفة التي تبين مواقف الشعوب المختلفة تجاه التلقيح ضدّ الفيروس الغريب الذي فاجأ به العالم منذ العام 2020. تتمثل خطاباته بعناصر لغوية وغير لغوية من كلام وصوت وتغريدات ومقاطع تكشف عن مواقف الشعوب المختلفة وتباينها وتفاعلها بضجة التلقيح. ويكاد أن يكون أثر ضجة التلقيح واختلافه ورد الفعل قوية مثلها مثل فجأة جائحة كورونا (Corona)، إلى أن تحقق التطعيم (vaccine) المناع عنه، وتوصي الدول والمنظمات الصحية بأخذ الجرع، فترددت الإعلانات والإشهارات بطرق تواصلية مختلفة، فصادت خطاباتها خلافات كثيرة وجدال واسع وشائعات توقع الشكّ والاستفهام في اللقاح ضد الفيروس.

وتبيّنت أن الخطابات المتداولة تجاه التلقيح تعددت وسائطها من كلام وتصويت وترميز وتصوير، وتنوعت مواقعها وأجناسها من مكتوبات لوحية وورقية، وصوتيات لفظية ومرئية مسجلة، ثم تغريدات نصية إلكترونية، ورموز أيقونات وهاشتاقات، وخطوط ورسومات ملونة، تحمل كلها في طياتها معان تكشف عن عوالم سلوكية، لا يمكن رؤيتها ولكن يمكن تجزئتها وتحويلها إلى وحدات تنتج معاني الانتماء والطمأنينة وتبديد الخوف والرفض وأخرى مما تحملها تلك الخطابات. فالمعاني إذن، هي المناطق التي تحيل على عوالم سلوكية، تتمثل بحب وكرهية وميل وردود فعل وغيرها مما تؤولها وحدات الخطاب التواصلية ذاتها.

فالخطاب المتعددة الوسائط يبعث ليؤدي معنى ويودع إبلاغا، بغض النظر عن صحة قائله وحسن عبارته. مثله مثل الملابس والرقص والموسيقى ودراما فإنها أشكال رمزية أودعها الإنسان تجربته لتصبح قابلة الإبلاغ. والحق أن الخطاب مع تنوع أجناسه وأساليبه وجهاته وناقليه ينقل معنى، كما يحدث الاتفاقيات والاعتراضات بمستوياتها في الفكر الإنساني، علما بأن الحاجة إلى التخلص من الوباء ماسة إلى كل شعب عرف ما شهده العالم من مرض ووفاة وإحصار ومجاعة.

يومي هذا التحليل النظري إلى أن الخطاب تتحكم فيه سلوكيات العلامات التي تشكلها وتحدد معانيها التماثلية والتركيبية والتفاعلية بعلاقاتها السياقية الوظيفية. لأن العلامة هي أداة الكشف عن مناطق لا ترى بالعين المجردة في النفس البشرية. وقد تكون العلامة لغة مركبة من حروف وصوتيات ورموز ورسومات وأيقونات، تخفي داخلها بعض الأسرار التي تؤولها العلامة. لذا يعد الخطاب نتاج ممارسة ممتدة في زمن لا ينتهي، وحالة تواصلٍ يضمن تفاعلا متجددا. ولهذا السبب لا يمكن انفصال السيميائيا عن اللغة، ولا اللغة عن العرف الاجتماعي. ولا يمكن انفصال السيميولوجيا عن اللسانيات.¹³

وستتناول الجانب التطبيقي تحاليل واضحة محددة، ندرك بها توظيف الوسائط في نماذج مختارة من خطابات التلقيح لتوصيل معان مختلفة تباينت بها مواقف التأييد والرفض وتبديد الخوف وغيرها.

المحور الثاني المواقف وردات الفعل:

لا شك أن جائحة كورونا قلبت العالم رأسا على عقب، وأن الجدل الذي تلاها كان عاصفا وما زال، خاصة مع بدء الحديث عن النجاح في التوصل للقاح ضد الفيروس، يقلل من الإصابات ومن أعراضها. ولا نطن تلقيحا قد أثار ضجة واختلافا وردات فعل متباينة كما هو الحال مع لقاح كورونا.

وجدير بالذكر أن الشائعات كانت سابقة لإنتاج التطعيم وأنها بدأت مع اللحظة الأولى للحديث عن العمل على إنتاجه، وكان الشك أو الاستفهام الأكبر حينها هو عن السرعة في إنتاجه وإخضاع البشر له، وأنه لم يجرب لوقت كاف قبل تطبيقه عليهم، وما إلى ذلك من مخاوف أو هواجس.

وقد تباينت الشعوب وتفاوت تلقيه عندهم وتفاعلهم معه، لكن ربما الشيء المشترك هو أن العالم أجمع شهد جدالا وانقسامًا إلى موافق مؤيد من ناحية، وإلى معارض رافض من ناحية ثانية. ولا شك أن هناك درجات بينهما فيوجد المحايدون، أو اللامبالون، و من تساوى الأمر لديهم ولا يعينهم كل هذا الضجيج.

وستتناول هنا اتجاهين يمثلان ما ساد بعد نزول التطعيم من جدل بين موقفي القبول والرفض.

1-2 الموقف الأول: المدافعون عن اللقاح:

هذه الفئة كانت مؤيدة للتطعيم وبادرت إلى تلقيه، وتنوعت أساليبهم في التعبير عن التأييد؛ فمنهم من راح يظهر أهمية اللقاح والبعض اتبع خطاب التحذير من خطورة الفيروس وتمكنه من الشخص في حالة عدم أخذ اللقاح. ومنهم من أعلن تلقيه للقاح في مواقع التواصل ونشر صورة مثبتة لذلك. ومنهم من تصدى للشائعات فراح يفندها وينفيها وقد يستدل بآراء أطباء يذكر أسماءهم أو يكتفي بعبارة: ينفي الأطباء، يؤكدون كذا، أو يقول دكتور كذا. والبعض قاد حملات توعية رسمية وقام بإجراء مقابلات مع خبراء وأطباء وكذلك كان هناك الترغيب من جهات ومؤسسات تمثل في عروض الخصم والجوائز والمكافآت. وأما الموقف الرسمي فقد اتكأ على هؤلاء من ناحية، كما اتبع طرقا مختلفة ومتدرجة في تحفيز المجتمع على القدوم إلى مراكز التطعيم وتلقي اللقاح، من ذلك: تلقي رؤساء وملوك دول للقاح مع التصوير وعرضه في البرامج الإخبارية؛ وذلك لتكوين معنى الطمأنينة وتبديد الخوف في نفوس العامة. إذ المؤكد أن الملك والرئيس والوزير والقادة عموما لن يبادروا إلا مع توفر أعلى درجات الأمان. ومن ذلك اشتراط التلقيح (التحصين) لكثير من الأنشطة والمصالح؛ كالدخول إلى المرافق والمؤسسات الحكومية.

2-2 الموقف الثاني: الراضون للقاح

تمثل الرفض في صور عدة بدا من إبداء الرأي، والتبرير له، إلى تحذير الآخرين، وذكر حالات حدثت لها مضاعفات بعد أخذ اللقاح أو حالات وفاة، إلى القيام بالاحتجاجات والمظاهرات فقد شهدت عدد من الدول العربية والغربية مظاهرات ساخطة.

وتجدر الإشارة إلى أن الراضين للتلقيح أنواع: الأول الراض لفكرة التلقيح عموماً، والثاني يرفض الإجبار فقط ويدعو إلى ترك القرار للشخص ذاته فهو صاحب القرار ولا ينبغي سلبه هذا الحق أو إجباره، فله أن يختار ما يناسبه ويقرر أخذ اللقاح من عدمه.

الراضون للإجبار:

هذه الفئة ليس لديها اعتراض على التطعيم لذاته، ولم يكن جدالها عنه، وإنما ظهرت مواقفها بعد الإجراءات الرسمية المتصاعدة من حث الناس على التطعيم إلى اشتراط تلقيه في معظم الوظائف والأنشطة والتنقلات. وحاولوا إيصال صوتهم بعدد من الوسائل، منها: الهشتاقات كـ #لا للإجبار، والشعارات ك: ابتزاز اللقاح، هو انتهاك لحقوق الإنسان، والتعبير الجسدي المباشر؛ إذ شاهدنا عدداً من النساء يتجمعن وقد قيدن أيديهن بالسلاسل وكممن أفواههن بوضع لاصق عليه؛ دلالة على الترهيب أو الإجبار الممارس. ومنه مثلاً في فرنسا يخلع عدد من الأطباء والمرضين معاطفهم البيضاء ويرمونها على الأرض. وتصاعد التعبير عن الرفض للإجبار على تلقي اللقاح، وحدثت عدة مظاهرات واحتجاجات في عدد من الدول العربية والغربية. ورفع بعض المعارضين دعوى قضائية كما حدث في ولاية نيويورك، إذ رفع مجموعة من العاملين في مجال الرعاية الصحية دعوى قضائية ضد إجبارهم، وقد منع فعلاً القاضي الفيدرالي مؤقتاً إجبارهم.

المحور الثالث: تحليل عدد من الوسائط

هناك وسائط كثيرة ومتنوعة شغلت مواقع التواصل، اعتمدت اللغة والصوت والصورة، وقد تخيرنا عدداً منها لتمثل المواقف المتباينة على النحو الآتي:

نموذج (1): مثال على موقف التأيد واستراتيجية الطرفية

ردًا على @abdulrahman



من أطرف ما يتم تناوله في سياق الإشاعات الخاصة
باللقاح المنتظر فديو لشخص يقول أن الهدف من
اللقاح هو تغيير الحمض النووي للإنسان مما يسهل
التحكم به ويجعله غير قادر على أخذ قراراته بنفسه.
لي صديق مصري دمه خفيف علق على هذا (طب)
والله دي ميزة كل القرارات اللي خدتها بنفسي ودتي
فداهنة 😊)

التغريدة شكل 1

تعرض (التغريدة شكل 1) لشائعة وتنفيها معتمدة استراتيجية تجمع بين السخرية والطرافة، فإن كانت الشائعة تقول إن اللقاح سيسلب الإنسان القدرة على اتخاذ القرارات وسيجعل مصيره بيد غيره، فإن صحت -وهذا غير وارد لأنه يسبقها بكلمة إشاعة- فالرد يأتي على لسان من وصفه ب(دمه خفيف) بأنه يرحو هذا وهو ميزة وليس عيباً.

نموذج (2): تغريدة تدافع عن اللقاح بالاعتماد على الاستشهاد بكلام أطباء

كلام دكتور،

#كورونا #كوفيد_19
#عمان_تواجه_كورونا
#خلا_ناخذ_اللقاح
#اللجنة_العليا



التغريدة شكل 2

في هنا (التغريدة شكل 2) ينقل كلام لطبيب يصفه ب(دكتور)؛ بالإضافة بالياء فيها دلالة الثقة والقرب فهو طبيبه الذي خبره يتعامل معه ويتعالج عنده فكلامه محل ثقة. هذا الدكتور يشبه اللقاح بحزام الأمان المستعمل أثناء قيادة السيارة وما يوفره من حماية ويعقد مقارنة بينهما.

نموذج (3): مقطع فيديو لحساب رسمي مدافع عن اللقاح باعتماد التحذير من الشائعات



التغريدة شكل 3

التغريدة شكل 3، مقطع نشر في الحساب الرسمي لوزارة الصحة السعودية بتويتر، مسبقا بعبارة وهشتاق. أما العبارة فهي: المعلومات الزائفة لن تنتهي. والهشتاق #لا_يخدعونك. والمقطع مدته 5:4 فهو طويل نوعا ما. وهدفه تكشفه العبارة السابقة فهو التحذير من المعلومات الزائفة (الشائعات) ومخاطرها التي يدفع ثمنها من يسلمون بها، فيحذر من الشائعات عامة وفداحة تصديقها على الفرد وصحته، وعرض لشائعتين عن لقاح كورونا كمثال: هما تغريدة انتشرت عن خطورة المزج بين التطعيمات ونسبت إلى حساب الصحة العالمية، ووضّح أن تلاعبا حدث في سياقها. ثم عرض لشائعة أخرى بأن التطعيم يشتغل على الجينات ويحورها.

وقد بدأ المقطع بشخص قادم ويبيده كأس وضعه على طاولة وجلس على كرسي مجاور وبدأ يقول: خلال العام الماضي هناك أكثر من 800 شخص قتلتهم معلومة مغلوطة، وهناك أكثر من خمسة آلاف شخص ذهبوا إلى المستشفى بسبب المعلومة الخاطئة 60 منهم فقدوا البصر.

وذكاء المقطع أنه حاول ألا يعتمد على النفي النظري والمباشر، بل اشتمل على مقابلة مع طبيب من ناحية، كما قام بحركات خادعة ليرينا كيف يمكن أن يقوم بما طرف لغرض ما وقد لا تنكشف الحقيقة للمتابع؛ ومثّل لبعض خدع قد تنطلي على المشاهد؛ منها الكوب الذي كان يمسكه في يده وكيف يتم التلاعب أثناء التصوير فلا يظهر كما هو. ومنها أنه قام بتمثيل دور المعلن، وأمعن في تقمص الدور وقام بحركة، وقال نضيف أكشن، فلبس معطف

الطبيب الأبيض في الجانب الذي تظهره الكاميرا. ليقول للناس إنه ليس كل ما تتلاقه حقيقيا، فالبعض قد يستغل معطف الطبيب مثلا، ليعطي رسالة مفادها صحة مصدر المعلومة، وتمنح الثقة للمشاهد؛ لتجعله يتلقى المعلومة مسلما بأنها من طبيب أو عالم فلا يشك فيها. كما وظف المقطع الحركة الجسدية في النفي والطفرة، حين ضرب مثلا بنفسه وأنه قد أخذ اللقاح ولم يصب بشيء ولم يتغير فيه شيء، فإذا بيده ووجهه يتغير وهو يقول للمخرج ضاحكا: يا مخرج بطل حركات. ولا شك أن الطرفة لها الأثر الكبير في جذب المتلقي وجعله يتقبل الفكرة المضمره.

نموذج (4): لرافض للقاح ويعتمد التشبيه والمقارنة



التغريدة شكل 4

هذه الصورة من الوسائط المستعملة للتعبير عن الرضا لتلقي التطعيم وتعدده سلاحا فتاكا. وهي تخلو من اللغة تماما، ومضمونها متحمل في الاختيارات غير اللغوية المتمثلة في: أنواع لأسلحة مختلفة وأدوات فتك قديمة وحديثة. فيها تسلسل زمني بدا بالرغيف وانتهى باللقاح. والأدوات من الأعلى إلى الأسفل: رغيف الخبز ثم الحربة ثم السهم ثم الرصاصة ثم الصاروخ ثم حقنة التطعيم. والفكرة فيها أن الفتك بالإنسان تنوعت أشكاله وتطورت أدواته مع الزمن، وأداة الفتك الأحدث والأخطر هي التطعيم.

والتغريدة التي استعملت هذه الصورة قدمتها بتعليق: تطور الأسلحة عبر الزمن، ولا بأس في هذا فهي عبارة مفسرة للصورة. لكن الإشكالية في الهشتاق المصاحب: لا للتطعيم الإجباري. ففيه تناقض وكأن الوسيطة تستعمل

في الرفض للتطعيم الإجباري؛ في حين أن الصورة تحمل معنى الرفض الكلي للتطعيم وتصنفه ضمن أسلحة الشر والقتل، بغض النظر أكان اختياري أو إجباري.

نموذج (5): مقطع فيديو لمظاهرات ترفض الإجبار على التطعيم



التغريدة شكل 5

يظهر المقطع (التغريدة شكل 5) مجموعة من المتظاهرين المحتجين على إجبارهم على أخذ لقاح كورونا، بعضهم يحمل لافتات معبرة عن الرفض، وبعضهم يحمل تيشترات مكتوب عليها: إنه جسدي واختياري، وأيقونة الممنوع بالأحمر على الحقنة، وهي رمز للقاح كورونا. وغير ذلك.

نموذج (6): الهاشتاقات

نختم الورقة بالإشارة إلى الهاشتاقات التي كانت إحدى طرق التفاعل مع الموضوع، فكل طرف كانت له هشتاقاته، وبالتالي كانت هناك تضاد ومقابلة بين بعضها كالدعوة لتلقي اللقاح مقابل هشتاقات الرفض. ومن هشتاقات الموافقين: #لا يحددونك، والرافضون: #لا للإجبار.

#كورونا #كوفيد_19
#عمان_تواجه_كورونا
#خلا_نأخذ_اللقاح
#اللجنة_العليا
#نرفض_اللقاح_الاجباري
#من_حقنا_نرفض
#لا_لربط_الوظيفة_بالتطعيم
#لا_للتطعيم_الاجباري

التغريدة شكل 6

خاتمة:

وقفت هذه الورقة على الوسائط المتعددة كالكلام المنطوق والمكتوب والإيماءات والصور والموسيقى والفيديو، فعرفت بها وأهميتها وتساعد الاهتمام بها في التحليل اللساني الذي تأخر في ذلك مقارنة بتخصصات عدة سبقته كالدراسات المرئية وعلم النفس والأنثروبولوجيا الاجتماعية. ويأتي الاهتمام بالوسائط في الدراسات اللغوية منسجما مع الواقع الحياتي. فالأفراد يعتمدونها في التعبير عن مواقف القبول والرفض والتأييد والتأثير والإنكار والإبلاغ، وغيرها مما يتلفظ به وما لا يمكن التلفظ به.

وهذا ما حاولت الورقة إظهاره فوفقت على نماذج من وسائط متعددة وظفها المختلفون في التعبير عن مواقفهم من لقاح كورونا.

¹. Halliday, MKA, Language and social Semiotic: The Social Interpretation of Language and Meaning, Edwaed Arnold, London, 1978, p4.

². Royce, T.D., Bowcher, W.L., (Eds), New Directions in the Analysis of Multimodal Discourse. Eribaum, New Jersey, 2007, p2. Also, ص8، العدد 3، 2007، بنكراد سعيد، السيميائيات: النشأة والموضوع، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد 35،

³. Bednarek, M., and Martin, J.R. (Eds), New Discourse on Language: Functional Perspectives on Multimodality, Identity and Affiliation, Continuum, London and New York, 2010. Also, O'Halloran, K. L., and Smith, B. A. (Eds), Multimodal Studies: Exploring Issues and Domain. Routledge, New York and London. p1-4.

⁴. David Machin, What is multimodal critical discourse studies? Critical Discourse Studies, Routledge, 10:4, 2013, p347.

⁵. Margolis E. and Pauwels L. (EDs), Sage handbook of visual research method, Sage, London, 2012, p3-23.

⁶. Halliday, M. K. A, and Hassan R., Language, Context and Text: Aspect of language in a social semiotics perspective, Oxford University Press, 1989, p4.

⁷. Halliday, M. K. A, and Hassan R., Language, Context and Text: Aspect of language in a social semiotics perspectives, ibid, p4. Also, David G., and Olive Boyd-Barrett, (Eds), Media Text: Authors and Readers, Multilingual Matters Ltd, Philadelphia, 1994, p48.

⁸. Kress Gunther, Van Leeuwen, Theo, Reading Images. The Grammar of Visual Design". Routledge, New York, 2006, p17. Also, Kress Gunther, Van Leeuwen, Theo, Multimodal Discourse:The Modes and Media of contemporary Communication". Arnold, London, 2001, Also, علم اللغة النظامي مدخل إلى النظرية اللغوية، نحلة، محمود أحمد، عند هاليداي، ملتقى الفكر، مصر، ط2، 2001م، ص 136

⁹. Kress Gunther, Multimodality, Routledge, London, 2010.

¹⁰. David Machin, What is multimodal critical discourse studies?, ibid, p351.

¹¹. بنكراد، سعيد، السيميائيات: النشأة والموضوع، المرجع السابق، ص 19.

¹². Ledema, R. Multimodality, Resemioticization: Extending the analysis of discourse as a multisemiotic practice", Visual communication, 2:1, 2013, p29- 57.

¹³. Umberto E., Le sign, ed Labor, 1988, p 152.

قائمة المراجع:

1. بنكراد سعيد، السيميائيات : النشأة والموضوع، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد 35، العدد 3، 2007.
2. حساني أحمد، العلامة في التراث اللساني العربي قراءة لسانية وسيميائية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي، الرياض، ط1، 2015.
3. نخلة، محمود أحمد، علم اللغة النظامي مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداي، ملتقى الفكر، مصر، ط2، 2001م.
4. نزال نبال نبيل، أنظمة دلالية غير لفظية ودورها في تشكيل نظام لغوي للتواصل في القرآن الكريم، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد 10، العدد 1، ص 325-347.
5. Bednarek, M., and Martin, J.R. (Eds), New Discourse on Language: Functional Perspectives on Multimodality, Identity and Affiliation, Continuum, London and New York, 2010.
6. David G., and Olive Boyd-Barrett, (Eds), Media Text: Authors and Readers, Multilingual Matters Ltd, Philadelphia, 1994.
7. David Machin, What is multimodal critical discourse studies? Critical Discourse Studies, Routledge, 10:4, 2013.
8. Halliday, M. K. A, and Hassan R., Language, Context and Text: Aspect of language in a social semiotics perspective, Oxford University Press, 1989.
9. Halliday, MKA, Language and social Semiotic: The Social Interpretation of Language and Meaning. Edwaed Arnold, London, 1978.
10. Kress Gunther, Multimodality, Routledge, London, 2010.
11. Kress Gunther, Van Leeuwen, Theo, Multimodal Discourse: The Modes and Media of contemporary Communication". Arnold, London, 2001,
12. Kress Gunther, Van Leeuwen, Theo, Reading Images. The Grammar of Visual Design". Routledge, New York, 2006.
13. Ledema, R. Multimodality, Resemioticization: Extending the analysis of discourse as a multisemiotic practice", Visual communication, 2:1, 2013.
14. Margolis E. and Pauwels L. (EDs), Sage handbook of visual research method, Sage, London, 2012.
15. O'Halloran, K. L., and Smith, B. A. (Eds), Multimodal Studies: Exploring Issues and Domain. Routledge, New York and London.
16. Royce, T.D., Bowcher, W.L., (Eds), New Directions in the Analysis of Multimodal Discourse. Eribaum, New Jersey, 2007.
17. Umberto E. Le sign, ed Labor, 1988.